مقاصد التعريف والتنكير
للألفاظ المتماثلة من القرآن الكريم

أ.م.د. فيصل مرعي حسن[1]، د. إدريس سليمان مصطفى[2]، أ.م.د. حازم ذنون إسماعيل[3]
[1،3] كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.
[2] كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، العراق.
(تاريخ القبول بالنشر: 15 آب 2013)

الملخص

الحمدلله الذي أرشد قاصده إلى مقاصده، وأطلعنا على مراكز كتابه ومراصده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومعاضده، وبعد:

فإنَّ هذا البحث يهدفُ إلى بيان دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم عبر ورودهما فيه ، والكشف عن فحوى تلوّن هذا الأسلوب بين المُصطلحين.

ويسعى البحث كذلك إلى دراستهما وبيان مفهومهما وطريقة صياغتهما والاختلاف بين سياقيهما في القرآن الكريم إذ يأتي اللفظ تارة نكرة في موضع، وتارة يكون معرفة. وفي كُلِّ موضع –مما سيُذكر– قد أتى التعريف والتنكير بما يناسب سياقه.

ويُعدَّ التعريف والتنكير مظهراً لغوياً أسلوبياً ، يوفر للمنشئ نوعاً من المرونة في الصياغة ، وفي التعامل مع المفردة في الجملة .

توطئة

يعد أسلوب التعريف والتنكير أحد الأساليب الخاصة بالاسم من دون غيره ، وما يدل عليه الاسم في حال التعريف لا يدل عليه في حال التنكير تبعاً للمُتكلم والمقام والموضوع ، وكأنَّ هذا الأسلوب يَشبه في عدد من وجوهه وأهدافه ما عُرف بالمطلق والمقيد في أصول الفقه.

وقبل الشروع في ذكر دلالات التعريف والتنكير في القرآن الكريم لا بُدَّ من أنْ نُبيِّن وبشكل موجز حدَّيهما ليكونَ الأمرُ جلياً والمعنى واضحاً.

(التعريف) لغة: هو جعل الاسم دلاً على شيء مُعين ويُفهم بالإفراد والتخصيص بعد التعميم، إذ تقول: عرَّفه بالشيء، أعلمه به وجه التحديد، وعرَّفته بزيد: إنَّما تُريد عرَّفته بعلامة ما وأوضحته بها حتى صار معروفاً، والمعروف ضد المنكر، والمعرَّفُ في الأصل: موضع التعريف ويكون بمعنى مفعول[1].

وفي **الاصطلاح:** هو تحديد الشيء بين المتكلم والسامع حتى يُعرف به، ويصير مدار الحديث والتفكير بينهما، وله أهدافٌ تُثير في المتلقي أفكاراً ومشاعر مثلما يُثير أسلوبه إحساساً بروح الجمال ومتعته.

وقد يكون اسم أحقّ بالتعريف من غيره، فالمسند إليه أولى بالتعريف؛ لأنَّه المحكوم الذي ينبغي أنْ يكونَ معلوماً ليكونَ الحكمُ مُفيداً، فالاسم في كُلِّ أنماطه يتمكَّنُ من اسميته الدالة على معنى مجرد من الزَّمان بتعريفه[2].

أمَّا (**التنكير**) فلا بُدَّ أنْ نُشير إلى اختلاف مفهوم اللفظ فيه عمّا هو عليه في التعريف، وهو اختلافٌ لا ينشأ من بنيته فحسب في كثير من الأحوال إنَّما ينشأ من دلالتها واختلاف أسلوب استعمالها ؛ ولعلَّ الفارق الأساسي بين التعريف والتنكير هو أنَّ التنكير لا يُعرف بأداة مُعينة إنَّما يكون اللفظ مُطلقاً من قيود التعريف.

فالتنكير مطلقٌ والتعريف يأتي ليُقيّد ذلك الإطلاق ويُحدِّدَ وجوه اللفظ في دلالته واستعماله[3].

وهذا الكلام يُوحي إلى المتلقي، أو قد ((يظنُّ ظانٌّ أنَّ المعرفة أجلى ومن النكرة أولى، ويخفى عليه أنَّ الإبهام في مواطن خليق، وأنَّ سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق،

خصوصاً في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم؛ اللذين من شأنهما التشبيه ؛ وعلة ذلك: أنّ مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة مكثرة الأشخاص يتقاذف الذّهن من مَطالعها إلى مَغاربها، وينظرها بالبصيرة من مَنسمها إلى غاربها فيحصل في النَّفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة))[٤].

والتنكير: هو كُلُّ اسم لا يُفهمُ منه أمرٌ، ولا يُقصد بالتعيين فهو مُطلقٌ ومتحرر من التخصيص[٥].

وهو يقع لفوائد ويُستعمل لمقاصد لا يُمكنُ للتعريف أنْ يقومَ بها لا من الوجهة اللغوية ولا من الوجهة البلاغية والدلالية، وكُلُّها تستقي من السياق ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام.

والوظيفة التي يقوم الاسم النكرة بها سواء وقع مُسنداً إليه أو مُسنداً في الجملة أو النَّص اللغوي لا يُمكنُ أنْ يقومَ بها الاسم المعرفة، فهي تنفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التنكير نفسه ومن طبيعته الدلالية.

وحين نتحدث عن الطبيعة الدلالية إنَّما نعني بذلك التفاوت بين درجات الدلالة من جهة التعريف والتنكير من دون أنْ يكونَ واقعاً في درجات القبح الناتج عن الاستعمال.

وكُلُّ اسم نكرة يختلف وضعه في الإفراد عمّا هو عليه في الاستعمال من جهة التركيب تقديماً وتأخيراً، ومن جهة الدلالة، فالدلالة من النواحي النَّفسية والفكرية والموضوعية هي التي تستدعي بناء التركيب، لاستعمال الكلمة المطلقة من كُلِّ قيد أو المقيدة بأحوال مُعينة وصفاتها، وتُصبحُ الكلمة الحُرَّة في ائتلاف اللفظ والمعنى ذات طبيعة دلالية مُتباينة ومُثيرة.

وتطالعنا في كتاب الله العزيز آيات ورد التنكير فيها في مواطن حساسة، فلا نراها مقصورة على المعنى المتبادر منها أوّل الأمر، بل حين نُمعن النَّظر والتدقيق في اللفظ نجد أنَّ دلالته تتسع، وأنَّ له إشعاعات مضيئة تُوحي بالمعنى الأهم والمقصود الأدق، وكذلك الأمر نفسه حين نتدبر هذه الآيات نجد أنَّ التعريف في موضع يكون لداع وظيفي.

أمّا تنكيره فيأتي لداع وظيفي آخر، و((يظنُّ ظانٌّ أنَّ المعرفة أجلى ومن النكرة أولى، ويخفى عليه أنَّ الإبهام في مواطن خليق، وأنَّ سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق .... وعلة ذلك أنّ مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة مكثرة الأشخاص يتقاذف الذّهن من مَطالعها إلى مَغاربها، وينظرها بالبصيرة من مَنسمها إلى غاربها فيحصل في النَّفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة، وهذا فيما ليس لمفرده مقدارٌ محصور بخلاف المعرفة فإنّه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه))[٦]. ويقرر ***الزملكاني*** في النّص السابق أنّ النكرة أصلٌ والتعريف فرعٌ عليه، إذ قد يُراد من توظيف النكرة الدلالة على العموم لا تستطيع المعرفة أنْ تدلّ عليها، لكن ذلك لا يلغي أهمية التوظيف للمعرفة في سياقها النصي الخليق بها[٧].

ويترتب على ذلك ظاهرة تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد من ذلك أنَّ التعريف يدلُّ على معنى مُعيَّن وعلى معنى آخر تارة أخرى، فيكتسب اللفظ الذي اقترن به دلالة مغايرة عنه إذا نُكِّر، لكنَّ هذه الدلالات لا تتعين أو تتكشف إلاَّ من خلال ما يُحيط به من السياق.

وعلى الرَّغم من أنَّ الأصل في اللفظ التنكير إلاَّ أنه يعدُّ من طرائق تسخير اللفظ لتوكيد المعنى، إذ يمكن تعريفه للوصول إلى إفهام التعميم وما يتولد عنه من تهويل أو تحقير أو تعظيم بحسب موقع اللفظ من سياقه اللغوي والاجتماعي.

وذكر ***تمام حسان*** أنَّ تعريف اللفظ وسيلة من وسائل تسخير اللفظ لتوكيد المعنى إذ يُمكنُ تنكيره، فقال: ((تعريف النكرة (بأل) قد يُفيد الجنس أو يُفيد العهد، ولكن هذه الإفادة بحكم الوضع لغوية (استصحابية) لا عدولية أسلوبية ؛ لأنَّ الأسلوب العدولي قد يحمل المتكلم أداة التعريف من المعنى ما ليس لها بأصل الوضع))[٨].

ولما كان التعريف يستفاد منه في تحديد الدلالة، وبيان دقّة ما تشير إليه اللغة بسياقاتها المختلفة، فإنّ التنكير قد يأتي ((تعميقاً يمنح البنية مقدرة على العطاء المتجدّد المتواصل الّذي يثري الدلالة متجاوزاً المتعارف عليه))[٩]، فمثلما ظهر وراء اختيار اللفظ معرّفة في القرآن الكريم دلالة معيّنة، كذلك فقد استعمل القرآن ألفاظاً نكرات بدلالات متغايرة تطلّبها السياق القرآنيّ ، والمعنى المراد منه.

وبعد هذا سنحاول الكشف عن دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم لعدد من الألفاظ في الآيات القرآنية المستعملة في سياقها، إذ نجد أنَّ التعريف سيكسبها تحديداً للدلالة وبياناً لدقة ترمز إليه الألفاظ بتشكيلاتها المتنوعة، وكذلك التنكير في الألفاظ يمنح البنية مقدرة على العطاء المتجدد المتواصل الذي يُثري الدلالة مُتجاوزاً المتعارف عليه.

تعريف لفظ (حق) وتنكيره

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٦١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢]

عرّف (ٱلْحَقِّ) في الآية الأولى ونكّره في الثانية؛ لأنّ كلمة (ٱلْحَقِّ) المعرّفة في آية سورة البقرة تدلُّ على أنّهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحقّ الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم.

فضلاً عن ذلك فإنّ التعريف وقع أولاً، إشارة إلى الحق الذي أذن الله أنْ يُقتل النفس به معلوم بين المسلمين، وهو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١] فالحقّ المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا، فكان التعريف أولى .

أمّا التنكير فمعناه أنّهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حقّ أصلاً لا حقَّ يدعو إلى قتل ولا غيره ؛ أي: ليس هناك وجه من وجوه الحقّ الذي يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم.

فكلمة (حَقٍّ) ههنا نكرة بعامة، وكلمة (ٱلْحَقِّ) معرفة معلومة، والقصد من التنكير الزيادة في ذمهم وتبشيع فعلهم أكثر ممّا في التعريف ؛ وذلك لأنّ التنكير معناه: أنّهم قتلوا الأنبياء بغير سبب أصلاً لا سبب يدعو إلى القتل ولا غيره[١٠].

فالحقُّ المنكّر يُراد به تأكيد العموم ؛ أي: لم يكن ثمة حقٌّ لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولاغيره ألبتة يسوغ لهم قتل الأنبياء[١١]، ومعلوم أنّه لا يُقتل نبي بحقٍّ، ولكن من حيث قد يتخيل متخيل لذلك وجهاً[١٢] فمقام التشنيع والذم ههنا أكبر منه، ثُمّ وكلاهما شنيع وذميم.

وفي تقييد (بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) إظهارُ معايب صنيعهم مع أنّ قتل الأنبياء لا يكون إلا كذلك ؛ للإيذان بأنّ ذلك (بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) عندهم إذا لم يكنْ أحد معتقد أحقية قتل أحد منهم (عليهم السلام)، وفيه زيادة في مذمتهم بذكر مساوئ أسلافهم، وأنهم في العظم إخوان وتنبيه على أنه ليس بأوّل جريمة ارتكبوها ومعصية استباحوها.

وكذلك فيه تأكيد ومبالغة وقطع لما عسى أنْ يكون في وهم إنسان ممكناً بوجه ما[١٣]. ((وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قتلهم ؛ أي: كائناً (بِغَيْرِ حَقٍّ) في اعتقادهم أيضاً كما هو في نفس الأمر لم يُستبعد منه أمثال هذا القول، ونسبة القتل إلى هؤلاء القائلين باعتبار الرضا بفعل القائلين من أسلافهم))[١٤]؛ أي: في معتقدهم ودينهم، فكان التنكير أولى وأبلغ في التعبير.

وفي إسناد القتل إليهم مع أنّه فعل أسلافهم ؛ لرضاهم به كما أنّ التحريف مع كونه من أفعال أحبارهم يُنسب إلى كُلِّ من يسير بسيرتهم. وقد أُشير إليه بصيغة الاستقبال[١٥]؛ دلالة على أنّ هذا الأمر سيتجدد ويتكرر، وأنّ كُلَّ من دعا الله

سبحانه وتعالى سيقتل بغير حقٍّ ؛ لأنهم ورثة الأنبياء فما أصابهم يُصيبهم.

قال ***البقاعي*** في التغاير بين سياقي التعريف والتنكير: ((لأنّه سياق طعنهم في القرآن الذي هو أعظم الآيات، وقع التعبير فيه أبلغ ممّا في آل عمران الذي هو أبلغ ممّا سبق عليه ؛ لأنّ هذا مع جمع الكثرة. وتنكير الحق عبّر فيه بالمصدر المفهم؛ لأنّ الاجتراء على القتل صار لهم خلقاً وصفة راسخة بخلاف ما مضى))[١٦]. فكان التنكير أولى.

فإن قلتَ: قتلُ النبيين لا يكون إلاّ بغير الحقّ، فما فائدة ذلك؟

قلتُ: فائدته التصريح بصفة فعلهم القبيح ؛ لأنّه أبلغ في الشناعة.

فإنْ قُلْتَ: لِمَ مَكَّنَ الكافرين من قتل الأنبياء؟

قُلْتُ: كرامة لهم وزيادة في منازلهم، كَمَنْ يُقتلُ في الجهاد من المؤمنين[١٧]. وجُمع النبيين جَمْعَ السلامة في البقرة لموافقة ما بعده في جمع السلامة وهو (الذين والصابئين) وكذلك آل عمران (الذين وناصرين ومعرضون) بخلاف النساء في السورتين[١٨].

وذهب ***أبو حيان*** إلى أنّ مجيء (**بِغَيْرِ حَقٍّ**) في هذه السورة بصيغة التنكير، وفي البقرة (**بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ**) بصيغة التعريف ؛ لأنّ الجملة هنا أخرجت مخرج الشرط ، وهو عام لا يتخصص، فناسب أنْ يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عاماً، وفي البقرة جاء ذلك في صورة الخبر عن ناس معهودين[١٩].

ومهما يكن من شيء فمقصد هذه الآيات بيان جرائم بني إسرائيل، وكان قتل الأنبياء من أعظم هذه الجرائم؛ لذا كانت المبالغة في تنويع هذا القيد بغير الحق بين التَّعريف والتَّنكير. أمَّا التَّعريف فللإشارة إلى أنَّ قتلهم الأنبياء لم يكن بحق مشروع (معهود) عندهم أو عند غيرهم، وأمَّا التَّنكير فللإيذان بأنَّ صنيعهم لم يكن بغير حق مطلقًا.

فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في آية سورة آل عمران أشد، ومما ذكر هنا تبين أنّ التعريف في آية سورة البقرة أليق ، والتنكير في آية سورة آل عمران كان هو الآخر أليق[٢٠].

تعريف لفظ (حياة) وتنكيره

ورد لفظ (**ٱلْحَيَوٰةُ**) معرَّفاً لتُلمح هذه الحياة إلى المبالغة في إكبار شأنها وتعظيم أمرها عند مَن يتعلق بها ويعمل لأجلها في قوله تعالى:﴿ **وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، لكنّ الله تعالى فضح شأنها وبيّن أنها محصورة في اللهو واللعب وقد صُوِّرت في النَّفس بعبث الأولاد ولعبهم ساعة من نهار ثُمَّ يتفرقون.

وقد قوبلت هذه الحياة الحقيرة –في حقيقتها– بمُبالغة في تعظيم الحياة الآخرة، فقال تعالى:﴿ **وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ** ﴾؛ أي: هي الحياة الحقيقية، إذ لا يُعرض الموت والفناء لمن فيها، أوهي ذاتها حياة للمبالغة[٢١].

فالله تعالى أراد أنْ يُخبر عن حال هذه الدنيا وأنّها لا تصفو لأحد، ولا تبقى على حال واحدة، فذكر تقلُّب حالها، واضمحلالها ومحالها، وأنها لا تصفو ولا تتم، وإنّما حالها أبداً التقلب وعدم الثبات، فأشبهت حالهم هذه حال اللهو واللعب، فوجب اعتبار العاقل بذلك، وطلبه الحصول على تنعُّم دار لا يتقلب حالها ولا يتوقع انقلابها وزوالها، فمَنْ غرّته الدنيا بفتنتها وكثرة معطياتها فليعِ أنّ هناك يوماً ستنتهي فيه هذه الحياة الدنيا بملذاتها وشهواتها ؛ ليعود بأعماله إلى الله في الدار الآخرة، فإذا لم يُدرك الغافل صدق حقيقة نهاية حياته الدنيوية؛ فعليه أنْ يسير في أرجاء المعمورة لينظر ببصيرته ما كان مِنْ أمر الأمم السابقة، وكيف أنّ الحياة الدنيا انتهت بهم إلى مهالك لم يحسبوا لها حساباً، بل ظلوا في طغيانهم حتى جاء أمر الله ليؤكد الحقيقة الحتمية بأنّ الآخرة هي الحياة الباقية لكلا الطرفين، وأمّا الدنيا فما هي إلا دار عمل، مَنْ أفناها في اللهو واللعب فقد خسر الآخرة ونعيمها، ومَن استثمرها

وعمل بمقتضى أوامر ربه فقد غنم وفاز بحياة أبدية لا موت فيها.

ونرى في مقابل ذلك التعريف تنكيراً للفظ (حَيَوٰةٍ) في سياق الحديث عن اليهود الذين أعرضوا عن الدعوة في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦] ليُوحي بحرص أولئك اليهود على أنْ يُضيفوا إلى حياتهم حياة زائدة ولو كان الزائد أقلَّ ما يصدُقُ عليه اسم الحياة، فمجيؤه نكرة أثار في النَّفس معنى التحقير، ودلَّ على حياة حقيرة وشدة تكالبهم عليها منهم.

فقد ذكر *أبو السعود* أنّ دلالة التنكير هي للإيذان "بأنّ مرادهم نوع خاصّ منها، وهي الحياة المتطاولة"[٢٢] وهؤلاء هم اليهود الّذين كانوا أشدّ الناس حرصاً على العيش في الحياة الدنيا، وأشدّهم كرهاً للممات[٢٣] .

فهم حريصون على العيش فيها مهما كانت قيمتها، وأيّاً كان لونها، حتّى إنْ كانت حياة هوان وذلٍّ لا قيمة لها؛ لأنّ غاية حرصهم هي الحياة ذاتها والاستزادة منها، أيّ ((نوع من الحياة مخصوص، وهو الحياة الزائدة، كأنّه قيل: ولتجدنّهم أحرص الناس، وإنْ عاشوا ما عاشوا على أنْ يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل))[٢٤].

وعلى هذا فالتنكير هنا أفاد التحقير والتهوين لقيمة الحياة الدنيا الّتي تتّسم بقصر أمدها، وإن طال، فلا بدّ من زوال لها، فضلاً عن أنّه أظهر نوع هذه الحياة الّتي آثرها بنو إسرائيل، وتشبّثوا بها على علمهم بذلك.

وقد رأى *عبد القاهر الجرجانيّ* أنّ في إيثارالتنكير في (حَيَوٰةٍ) من دون التعريف ((حسناً وروعة، ولطف موقع، لا يقادر قدره حسن، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحيّة والأنس إلى خلافهما))[٢٥] وهو ما استحسنه **الرازيّ**[٢٦] أيضاً.

قال *الآلوسي*: ((وتنكير (حَيَوٰةٍ)؛ لأنّه أريد بها فرد نوعي، وهي الحياة المتطاولة، فالتنوين للتعظيم، ويجوز أنْ يكون للتحقير فإن الحياة الحقيقية هي الأخروية ..... ويجوز أنْ يكون التنكير للإبهام، بل قيل: إنّ الأوجه؛ أي: على حياة مبهمة غير معلومة المقدار، ومنه يعلم حرصهم على الحياة المتطاولة من باب الأولى))[٢٧].

وجوّز *أبو حيان* أنْ يكون الكلام على حذف مضاف أو صفة؛ أي: على طول حياة أو على حياة طويلة، وأنت تعلم أنّه لا يحتاج إلى ذلك[٢٨].

قال *الرازي*: ((إنَّ **التنكير** يدل على الكمال، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦] والمعنى: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة دائمة كاملة غير منقطعة"؛ لأنَّ معنى أحرص النَّاس أحرص من النَّاس، وأنَّهم كرهوا الموت لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل، والتعبير بـ(أَحْرَصَ) بصيغة التفضيل وهي تُعبِّرُ عن نهاية حرص النَّفس على البقاء في الدُّنيا))[٢٩].

ونجد كذلك إيحاء هذا **التنكير** في كلمة (حَيَوٰةٍ) فإنها تُشعرُ بقدر مُمكن من الحياة ومهما كان يسيراً خاوياً من أيَّة قيمة كريمة، فأثار ورودها بالتنكير معنى التحقير، ومن ثَمّ أفادت أنَّ اليهود أشدّ حرصاً على الحياة المتطاولة من أولى، فعبَّرت كلمة (حَيَوٰةٍ) في هذا المورد بآن واحد عن ضآلة قيمة الحياة الدُّنيا وشدة تكالب اليهود عليها[٣٠]. وفيه توبيخ للذين أشركوا؛ لأنهم لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا لأنها جنتهم، فإذا زاد عليهم من له كتاب وهو مُقرٌّ بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ ؛ لحرصهم الشديد أكثر من غيرهم.

ذهب *ابن الزملكاني* في الآية الأولى إلى أن تنكير (حَيَوٰةٍ) أحسن من تعريفها[٣١] وتعليل ذلك أنّ الحي هو الذي يحرص، وحرصه لا يكون على أصل الحياة، بل على الزيادة منها، ومن هذا االجانب، يكون تأويل الآية، أنّهم أحرص الناس، ولو تطاولت أعمارهم، أن يزيدوا إلى حياتهم

حياة أخرى، فالوجه الذي أداه تنكير (حَيَوٰةٍ) لا يستقيم مدلوله البياني مع تعريفها ؛ إذ التعريف يدل على أصل الحياة، في حين أنّ التنكير يدلُّ على نوع مخصوص من أنواعها، وهو وجه الازدياد من الحياة.

في الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٩] ، ينفرد تنكير (حَيَوٰةٌ)، ليدل على حياة مخصوصة، غير الحياة الأصلية، ذلك أنّ تأويل الآية، أنّ القصاص يفيد حياة جديدة مستأنفة، لم تكن إلا به : بيان ذلك أنّ الإنسان إذا أيقن أنّه إذا قتل قتل ارتدع عن القتل، فصارت حياته وحياة غريمه مستفادتين بالقصاص، ويمتنع تعريف (حَيَوٰةٌ) في نظر *ابن الزملكاني* ، ((لئلا يفضي إلى إيهام أنّ الحياة من أصلها مستفادة بالقصاص))[٣٢].

إنّ لوجهي تنكير (حياة) في الآيتين من البيان والإفهام ما أضفى معاني جديدة لم تكن لتستفاد بالتعريف، لكنّ التنكير قد أدى أدواراً جديدة نقلت (التنكير والإبهام) إلى مقام يعلو على (التعريف والإفهام).

تعريف لفظ (بلد) وتنكيره

ورد لفظ (بلد) معرفة في موضع ونكرة في موضع آخر، وقد لفت نظر المفسرين والنحويين هذا التعريف والتنكير فأشاروا إلى الفرق بين دلالة اللفظ في الآيتين ما بين التعريف والتنكير وإعرابهما.

ففي حالة تعريف (ٱلْبَلَدَ) يكون بدلاً أو صفة للمفعول الأول اسم الإشارة[٣٣] و(ى) مفعولاً ثانياً، وفي حالة تنكير (بَلَدًا) يكون مفعولاً ثانياً و(ى) صفة للمفعول الثاني(٣٤).

فمن خلال التوجيه النحوي للفظ لا يُمكن الكشف عن سرّ البيان القرآني في تعريف اللفظ وتنكيره ؛ لذا سنُبيِّن المقصود من دلالة اللفظ في كلا الحالتين من خلال ربط الآيتين بسياقهما. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة: ١٢٦ – ١٢٧]

أما في آية سورة إبراهيم فالسياق على النحو الآتي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ – ٣٧]

قال الرازي: ((إنما قال في هذه السورة : ﴿بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ على التنكير وقال في سورة إبراهيم : ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ على التعريف لوجهين:

الأول: أن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً، كأنه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً؛ لأنه تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ فقال: ههنا اجعل هذا الوادي بلداً آمناً، والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلداً، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته بلداً ذا أمن وسلامة، كقوله : جعلت هذا الرجل آمناً.

الثاني: أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلداً، فقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ تقديره: اجعل هذا البلد بلداً آمناً، كقولك : كان اليوم يوماً حاراً ، وهذا إنما تذكره للمبالغة في وصفه بالحرارة ؛ لأن التنكير يدل على المبالغة،

فقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ معناه : اجعله من البلدان الكاملة في الأمن.

وأما قوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ فليس فيه إلا طلب الأمن لا طلب المبالغة، وأما قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ فالمعنى: أنه (عليه السلام) سأل أن يدر على ساكني مكة أقواتهم، فاستجاب الله تعالى له فصارت مكة يجبى إليها ثمرات كل شيء، أما قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم﴾ فهو بدل من قوله: ﴿أَهۡلَهُۥ﴾ يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة))[٣٥].

قال الأنصاري: ((فإنْ قلت: لِمَ نكّر (ٱلۡبَلَدَ) هنا وعرّفه في إبراهيم؟

قلتُ: لأنّ الدعوة الأولى هنا كانت قبل جعل المكان بلداً دائم الأمن في الأول، وبلداً آمناً في الثاني))[٣٦]، ففي آية سورة البقرة دعا بها ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة، وسكنى جرهم فيها.

وفي آية سورة إبراهيم بعد عوده إليها وبناها[٣٧]؛ أي: إنه لما جاء في البقرة (بَلَدًا) بالتنكير؛ لأنّ مكة كانت وادياً لا بناء فيه، أي: أسألك يا رب أن تجعل هذا الوادي (بَلَدًا ءَامِنًا)، وشاهده قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ .

وعرّفه في آية سورة إبراهيم (هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ) بعد أنْ تحوّل الوادي بناء فسماها (ٱلۡبَلَدَ) ودعا لها بالأمن والطمأنينة.

قال ابن كثير: ((ولعل السؤال متكرر، وما في تلك السورة كان بعد، والأمن المسؤول فيها إما هو الأول وأعاد سؤاله من دون البلدية رغبة في استمراره؛ لأنه المقصد الأصلي، أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلافه. وإما غيره بأن يكون المسؤول.

أولاً : مجرد الأمن المصحح للسكنى .

ثانياً: الأمن المعهود.

ولك أنْ تجعل ﴿هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ في تلك السورة إشارة إلى أمر مقدر في الذهن كما يدل عليه ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ﴾ [إبراهيم: ٣٧] الخ فتطابقت الدعوتان حينئذٍ؛ وإنْ جعلت الإشارة هنا إلى البلد تكون الدعوة بعد صيرورته (بَلَدًا) والمطلوب كونه (ءَامِنًا) على طبق ما في السورة من غير تكلف إلا أنه يفيد المبالغة؛ أي: بلداً كاملاً في الأمن كأنه قيل: اجعله بلداً معلوم الاتصاف بالأمن مشهوراً به، كقولك: كان هذا اليوم يوماً حاراً))[٣٨].

قال ابو حيان: ((وناداه بلفظ الرب مضافاً إليه ، لما في ذلك من تلطف السؤال والنداء بالوصف الدال على قبول السائل وإجابة ضراعته))[٣٩].

واجعل هنا بمعنى: صير، وصورته أمر، وهو طلب ورغبة. وهذا إشارة إلى الوادي الذي دعا لأهله حين أسكنهم فيه، وهو قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ أو إلى المكان الذي صار بلداً، ولذلك نكره سبحانه فقال: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾. وحين صار بلداً قال جلّ ذكره على لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجۡنُبۡنِي﴾ وقال ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١] هذا إنْ كان الدعاء مرتين في وقتين.

فالتعريف إشارة إلى البقعة الصغيرة المقفرة التي أسكن فيها أهله ..

والتنكير إشارة إلى سعة المكان .. وكثرة الناس واختلافهم .. [٤٠].

ووصف (بلد) بـ(آمن) ، إمّا على معنى النسب ؛ أي: ذا أمن ، كقوله تعالى: ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: ذات رضا، أو على الاتساع لما كان يقع فيه الأمن جعله آمناً كقولهم: نهارك صائم وليلك قائم[٤١].

تعريف لفظ (قرية) وتنكيره

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢] فقد جاء لفظ (ٱلْقَرْيَةَ) معرفاً؛ لأنّهم أرادوا قرية بعينها وهي أرض مصر التي كان يُوجد فيها أخوهم يوسف (عليه السلام) فلذلك جاء اللفظ معرفة، أمّا الآية في المنكَّرة –التي سنذكرها لاحقاً– فكانت القرى المهلكة كثيرة ولم تُحدّد لذلك جاء لفظ (ٱلْقَرْيَةَ) نكرة.

ونلحظ أنّهم يوقعون السؤال على القرية ويريدون أهلها[٤٢]، ولا شيء يناسب موقفهم النفسي غير التعبير على هذا النحو، وكأنهم يقولون: اسأل القرية، نباتها وحيوانها، وجمادها، وإنسها وجنها، وسوف تجد صدق ما نقول، وتوظيف ذلك كله من أجل دفع تهمة كيدهم لأخيهم الثاني (بنيامين)، وموقفهم بالغ الضعف وهم أبرياء من مثل هذه التهمة، لكن لا دليل عندهم غير أنْ يأتي بكلامهم في نهاية الآية بهذا التوكيد (وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ).

يتبن لنا أنّ قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ؛ أي: اسأل أهل القرية، ومما يلفت الانتباه في مثل هذا الموضع أنّ المضاف الذي يسبق هذا اللفظ يحذف في المواضع التي تبين عاقبة المكذبين بالرسل، وما نزل من الهلاك والعذاب عليهم، والأخذ الشديد لهم، وبيان القدرة الإلهية كما هو واضح في الآية، ومن هنا لا بدّ من مسوغ للحذف في مواضع ذكر القرى بالذات.

ويبدو من هذا العرض أنَّ حذف المضاف الذي يسبق القرية له معنى بلاغي يفوق القول بالمجاز والإيجاز وأنّ سياق هذه الآية يبرز هذه الأهمية في عدم ذكر المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ونرى أنّ المضاف الذي يسبق القرية يُحذف للتنبيه على قدرة الله تعالى، في إهلاك الأمم الكافرة وأخذهم بقوة وشدة جزاء لما اقترفوا اتعاظاً واعتباراً، وأنَّ شدة الأخذ قد يشمل القرية، بضمنها الأبنية ومعالم البناء، وأنّ الهدم والقصم يبدأ أولاً بمعالم البناء التي تكون وسيلة لهلاكهم، ولكي يوسع القرآن الكريم هذا المفهوم ذكر القرية من دون (أهل)؛ لأنَّ شمولها بالهلاك توسيع لدائرة العذاب والعقاب المنزل عليهم، فضلاً عن أنّه يُضفي عليه بُعداً من الخوف والهلع والترهيب[٤٣].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١] فقد جاء لفظ (قَرْيَةٍ) منكّراً ليدلّ على عموم العذاب للذين كانوا ظالمين.

وفي الآية إشارة إلى شدة عذاب الله – تعالى – للقرى بسبب ظلم أهلها وكفرهم، ويرسم شدة العذاب من خلال الصيغة والجرس اللذين يُسهمان في تقريب الدلالة، ويعطيان هذه الدلالة أبعادها، وتقف اللفظة لتعبر عما في أعماقها، فإنّ لفظ (قصمنا) بصيغتها وشدة جرسها وإيقاعها وثقل نطقها توحي بالتدمير والفناء بشدة وقوة، وبجبروت الخالق وبغضبه وسخطه[٤٤].

وكذلك الإيقاع الذي تحدثه (كم) بجرسها الذي يغلق الشفتين، يوحي بصدّ النفس ومباغتتها بأسلوب هادئ، وأنها تكتنز بدلالات بالاحتقار والمهانة واللامبالاة، وتحمل (كم) في إيقاعها نغمة مشوبة بالدمدمة والزمجرة [٤٥].

فالإيقاع يرتبط بالمعنى؛ لأنّ المعنى يحدده شكل العبارة وصيغتها، ومن الشكل والصيغة يتولد الإيقاع الذي يحمل في جوهره الصلة العميقة للمعنى، وهذا ما يقتضيه التركيب لغرض الدلالة على التكثير، وهذا ما أدّاه الاسم النكرة المجرور بـ (من) مع (كم).

تعريف لفظ (قوة) وتنكيره

القُوَّة: ((من تأليف ق و ي، ولكنها حملت على فُعْلَة فأدغمت الياء في الواو كراهية تغير الضمة، وهي نقيض الضعف، والجمع قُوى وقِوى، وقد قَوِيَ الرجل، والضعيف يَقوى قوة فهو قوي، وقَوَّيْتُهُ أنا تقوية وقَاوَيْتُه فَقَوَيْتُهُ؛ أي: غلبته.

والقوة: الخصلة الواحدة من قُوى الحبل، وقيل: القوة، الطاقة الواحدة من طاقات الحبل أو الوتر، الجمع كالجمع قُوى وقِوى)) [٤٦].

جاء لفظ (ٱلْقَوِيُّ) معرّفاً في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦]، والقوة هنا قوتان، القوة الأولى: حسية وهي ما كان يتمتع به موسى (عليه السلام) من القوة البدنية، أما الثانية فهي القوة المعنوية التي عبر عنها بلفظ ﴿ ٱلْأَمِينُ ﴾ وهي قوة المنعة والعفة في التعامل مع ابنة شعيب (عليه السلام) التي أثنت عليه أمام أبيها حين وصفته بالقوة لما شاهدته من نحو عمله في سقي الأغنام، أما وصفه بالأمانة فلما ظهر في عفته حين تكليمها ثم في صحبته لها عندما أنطلق إلى شعيب[٤٧] وقد استدلت على قوته وأمانته بما رأته من ((إقلاع الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه))[٤٨] حين بلغته رسالة أبيها، وجاء التفضيل بلفظ خير ، وأصله: أخْيَرُ حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال[٤٩]، واستأجر استفعل. السين والتاء فيهما للمبالغة، والصيغة هنا تدل على الاتخاذ[٥٠]؛ أي: لأنّه أفضل من رأت قوة وأمانة طلبت من أبيها أن يتخذه أجيراً، فقالت ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ لذلك نرى السياق القرآني ((جعل ﴿ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ﴾ مسنداً إليه بجعله اسماً ... مع صحة جعل ﴿ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ هو مسنداً إليه فإنهما متساويان في المعرفة من حيث إنّ المراد بالتعريف في الموصول المضاف إليه (خَيْرَ) وفي المعرف باللام هنا العموم في كليهما، فأوثر بالتقديم من جزئي الجملة ما هو أهم وأولى بالعناية وهو خير أجير؛ لأنّ الجملة سيقت مساق التعليل لجملة (ه) فوصف الأجير أهم في مقام تعليلها ونفس السامع أشد ترقباً لحاله))[٥١].

أما التعريف في قوله ﴿ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ فإنه أفاد القصر، قالالقزويني: ((إنّ التعريف بلام الجنس قد يفيد قصره إما تخفيفاً ... وإما مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه، كقولك: عمر الشجاع؛ أي: الكامل في الشجاعة، فتخرج الكلام في صورة توهم أنّ الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصوره عن رتبة الكمال))[٥٢]؛ لذلك ورد اللفظ على صيغة فعيل الدالة على ثبوت صفتي القوة والأمانة فيه وهما صفتا عز مادي ومعنوي كأنّه لا يوجد غيره يستحق ذلك الوصف.

وقد جاء لفظ (قُوَّةٍ) منكّراً في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولم يقل: (من القوة)؛ لأن المراد إعلام المسلمين بأن يعدوا لعدوهم أنواع القوة كافة من دون حصر أو تقييد. والله اعلم.

فالتنكير يقع لفوائد، ويستعمل لمقاصد لا يمكن للتعريف أن يقوم بها لا من الوجهة اللغوية، ولا من الوجهة البلاغية والدلالية، وكلها تُستقى من السياق، ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام، فالوظيفة التي يقوم بها الاسم النكرة لا يمكن أن يقوم بها الاسم المعرفة، فهي تنفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التنكير ذاته.

وهنا مقطع أمُرت به الأمة الإسلامية بالاستعداد، وكان هذا الأمر لها في كل زمان ومكان، وشمل كل ما يلزم من أمر الإعداد والاستعداد ((لأعداء الله الناقضي العهد كما يقتضيه السياق، أو للكفار كما يقتضيه ما بعده، والإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة إليه))[٥٣].

فالتنكير لفظ مطلق ومتحرر من التخصص، فهو لا يفهم منه أمر محدود، ولا يقصد بالتعيين[٥٤].

ولفظ (قُوَّةٍ) ههنا ما يكون سبباً لحصول القوة، وذكروا فيه وجوهاً منها ما فسرها الرسول (ﷺ): بالرمي، فلما قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، صار المعنى: واعدوا لهم ما تستطيعون إعداده مما يُرمى به فشمل السهم والصاروخ والمدفع والقنبلة الذرية، ومعنى قوله (ﷺ): (القوة هي الرمي) [٥٥] لا ينفي كون غير الرمي معتبراً، كما أن قوله: (ﷺ): ((الحج عرفة)) [٥٦] وقوله: ((الندم توبة))(٥٧)

فهذا لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن المذكور من أفضل المقصود وأجله[٥٨].

فكذا هنا بحمل معنى الآية على كل ما يمكن أن يخترعه الإنسان من أدوات الرمي، وتشمل القوة أيضا ما تتضمنه القوة من الأسلحة وغيرها، فهو وصف عام لكل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو في جملة القوة، فكل ذلك مأمور به لأنه من فروض الكفايات(٥٩) وهذا المعنى المادي للقوة، كما أن هناك معنى آخر وهو المعنى المعنوي، ويشمل الإعداد النفسي والروحي للمقاتلين الذي يدفعهم إلى القتال في المعركة، وهو شرط مهم في تحقيق النصر والتمكين وهزيمة الأعداء.

فالخطاب في الآية للمؤمنين جميعهم، والضمير في قوله تعالى: **(لَهُم)** عائد على الذين ينبذ إليهم العهد، أو على الذين لا يعجزون على تأويل من تأول ذلك في الدنيا، ويحتمل أنْ يعود على جميع الكفار المأمور بحربهم في ذلك الوقت، ثم استمرت الآية في الأمة عامة إذ الأمر توجه بحرب الكفار جميعهم[٦٠].

فالآية توصي المسلمين بالجهاد، لأن فيه عزهم وفخرهم، والإعداد لأعداء الله والاستعداد لهم بالقوة والعدة والعدد، فهو أمر مفهوم – من خلال النص القرآني– للمسلمين والاستعداد لهم بالقوة و بـ**(رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ)** وهو يشمل كل ما يركب للمعركة؛ أي: شمل التعبير كل الآليات ((والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال)) [٦١].

وقيل: ((الرباط: جمع رَبْط ككلب وكلاب، ولا يكثر ربطها إلاّ وهي كثيرة، وفيها دلالة على الحض على تجمع المسلمين، ويجوز أن يكون الرباط مصدراً من ربط كصاح صياحاً ونحوه، لأن مصادر الثلاثي غير المزيد لا تقاس)) [٦٢].

وقد علق أبو حيان على ذلك بقوله إنه: ((ليس بصحيح بل لها مصادر منقاسة))[٦٣]، وإذا أردنا أن نجعله ((مصدراً من رابط فكأن ارتباط الخيل واتخاذها يفعله كل واحد لفعل آخر له فيرابط المؤمنون بعضهم بعضاً، فإذا ربط كل واحد منهم فرساً لأجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط، وذلك الذي حض في الآية عليه))[٦٤].

وقيل: ((الرباط هي ما تُربط به القِربة وغيرها والجمع رُبُط، مثل كتاب كُتُب، ويقال للمصاب: ربط الله على قلبه بالصبر، كما يقال: افرغ الله عليه الصبر؛ أي: ألهمه. والرباط الذي يبنى للفقراء مولد ويجمع في القياس على ربط–بضمتين — ورباطات. والمرابطة: إقامة المسلمين في الثغور للحراسة فيها)) [٦٥]، وكذلك فيه ((إيحاء إلى باب الامتنان بالنصر في بدر؛ لأنّهم لم يكن معهم فيه غير فرسين، وحضّ الخيل مع دخولها فيما قبل إشارة إلى عظيم غنائها، والرباط أيضاً ملازمة ثغر العدو، ورباط الخيل به إعداداً للعدو)) [٦٦].

وقوله: **(بِهِۦ)**؛ أي: ((بذلك الذي أمرتكم به من المستطاع أو من الرباط)) [٦٧].

وأشار ابن عطية إلى معنى قوله: **(تُرْهِبُونَ)**؛ أي: ((تفزعون وتُخوفون، والرَّهبة: الخوف)) [٦٨].

وقيل معناه: ((تخوفون تخويفاً عظيماً باهراً يؤدي إلى الهرب على ما أُجريت من العوائد)) [٦٩].

ومن المفيد القول إنّ الله – تعالى – ذكر بعدها صفتين وأن كانتا متقاربتين لكنهما متغيرتا المعنى، وهي قوله **(عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)** وبذكرهما يتقوى الذم، وتتضح وجوه بغضنا لهم، والمراد بهاتين الصفتين مَنْ قَرُبَ وصَاقَبَ[٧٠] من الكفار وكانت عداوته متحركةً بَعْدُ، ويجوز أنْ يراد بهما الكفار جميعهم، وقيل: هي إشارة إلى المنافقين، وقيل: غير ذلك[٧١].

وهذه الآية تشير إلى الإعداد والاستعداد لأعداء الله من المسلمين في كل زمان ومكان من أجل تخويفهم وردعهم وقتلهم، وإذا فُقد الإعداد والاستعداد كان التمكين والحكم لأعداء الله في الأرض، ويكون حينئذ المسلمون مستضعفين كما هو الحال اليوم، فهم يعيشون حالة من الضعف والهوان والانكسار في جميع بقاع الكرة الأرضية من أعداء الله، وما ذلك إلا بسبب تخليهم عن أمر الله ألا وهو الجهاد في سبيله الذي حضت الآية عليه.

تعريف لفظ (نار) وتنكيره

ورد لفظ ى معرَّفًا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم ٦]، وورد منكَّرًا في قوله تعالى مخاطبًا الكافرين: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤]؛ لأنّ الخطاب في آية سورة البقرة مع المنافقين، وهم في أسفل النار المحيطة بهم، فعرّفت بلام الاستغراق أو العهد الذهني، وفي آية سورة التحريم الخطاب مع المؤمنين، والذي يُعذّب من عصاتهم بالنار يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها[٧٢].

ويربط أبو حيَّان بين سياق اللَّفظين وبين نزول السُّورتين ترتيبًا-، إذ ورد لفظ النَّار منكرًا في سياق سورة التَّحريم المكيَّة، وجاء معرَّفًا بالكلاَّم في آية البقرة المدنية، فسورة التَّحريم نزلت في مكة قبل البقرة؛ لذا جاءت نكرة في أوَّل النُّزول، ثُمَّ عرفت فيما نزل بالمدينة، يقول: ((وعرّف النَّار هنا؛ لأنَّه قد تقدّم ذكرها نكرة في سورة التَّحريم، والتي في سورة التَّحريم نزلت بمكة وهذه بالمدينة، وإذا كُرِّرت النكرة سابقة ذكرت ثانية بالألف واللاَّم وصارت معرفة؛ لتقدُّمها في الذِّكر ووصفت بالتي وَصِلَتِهَا، والصِّلةُ معلومة للسَّامع؛ لتقدُّم ذكر قوله: ﴿ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾، أو لسماع ذلك من أهل الكتاب قبل نزول الآية))[٧٣].

في حين يرى البقاعيُّ أنَّ: ((تعريف النَّار وصلة الموصول؛ لأنَّ أخبار القرآن بعد ثبوت أنَّه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم؛ تنبيهًا على أنَّ ما جهله لم يجهله أحد))[٧٤].

وعليه فإنّ لفظ النَّار أحال إلى شيء معهود ذهنيًا قد مضى ذكره، وهو لفظ النَّار منكَّرًا في سورة التَّحريم، ولعلَّ في هذه المغايرة تهديدًا ووعيدًا للكافرين فقد أراد سبحانه قرع الآذان بلفظة النَّار معرفة تارة، ومنكرة أخرى وهناك من النُّفوس ما تنزجر بتكرار الوعيد وهو ما يعد طريقة من طرائق القرآن.

تعريف لفظ (ليل) وتنكيره

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [المزمل: ١-٢] جاء لفظ (اَلَّيۡلَ) معرفة في هذه الآية على خلاف الآيتين اللاحقتين اللتين سيرد ذكره فيهما نكرة، وذلك لأنَّه أراد أنْ يُبيِّنَ أنَّ الليل هو الذي يكون فيه القيام، وأنَّ الترتيل يختصُّ بزمن الليل زيادة في جماله من حيثُ هدأة الليل وصفاء النَّفس؛ لأنَّ المولى (ﷻ) عليمٌ بأنَّ السَّمع نافذةٌ على النَّفس، وحافز على الانفعال والتفاعل مع متطلبات دينية حيوية وأخروية ؛ لذلك لم يأت بالليل منكَّراً ؛ لأنَّ الأمرَ معروفٌ وقيامَ الليل فرضٌ على النَّبي محمد (ﷺ) وسنة على أمته.

والألف واللام في (اَلَّيۡلَ) للاستغراق، فهي مثل (كُل) إذ الاستثناء دليلٌ على أنَّ المستثنى منه عام مستغرق كُلَّ أفراده أو أجزائه.

وفي هذا التعريف إشعارٌ بأنَّ هذه الرِّسالة الربانية رسالة جِدٍّ واجتهاد ونهوض إلى العمل في الدعوة وفي العبادات الخاصَّة[٧٥]؛ لأنَّ الليل جُعل سُباتاً للإنسان، ولكنَّ من شأن الجاد في العبادة الكدح المتواصل وحمل المهمات الجسام والراحة لا تُؤخذ فيها إلاَّ بمقدار الحاجة فحسب.

أمَّا (لَيۡلٗا) في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] فقد أتى نكرة ليدلَّ على قصر الليل، قال الزمخشري: ((أراد بقوله: (لَيۡلٗا) بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنّه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل؛ أي: بعض الليل

كقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾[الإسراء: ٧٩] على الأمر بالقيام في بعض الليل))[٧٦].

نلحظ أنَّ صاحب الكشاف استدلّ على إفادة (لَيۡلًا) للبعضية بقراءة عبد الله وحذيفة (من الليل).

وقال الشوكاني: ((بخلاف ما إذا قلت: سريت الليل، فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً))[٧٧].

وذكر الزجاج أنّ معنى (أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا): سيّر عبده، يعني: محمداً (ﷺ) ليلاً، وعلى هذا يكون بـ: معنى سيّر، فيكون للتقيد بالليل فائدة[٧٨].

قال الرازي: ((قلنا: أراد بقوله: (لَيۡلًا) بلفظ التنكير: تقليل مدة الإسراء وأنّه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية))[٧٩].

قال أبو السعود: ((لإفادة قلةِ زمان الإسراءِ لِما فيه من التنكير الدالِّ على البعضية من حيث الأجزاءُ دَلالتَه على البعضية من حيث الأفراد، فإنّ قولك: سِرت ليلاً كما يفيد بعضيةَ زمان سيرِك من الليالي يفيد بعضيتَه من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت: سرتُ الليلَ، فإنّه يفيد استيعابَ السير له جميعاً، فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له ويؤيده قراءةُ (من الليل)؛ أي: بعضِه))[٨٠].

وقد جاء تنكير (لَيۡلًا) للتعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل (أَسۡرَىٰ)، وبقرينة عدم تعريفه؛ أي: هو ليل عظيم باعتبار جعله زمناً لذلك السرى العظيم ، فقام التنكير هنا مقام ما يدلّ على التعظيم، ألا ترى كيف احْتيج إلى الدلالة على التعظيم بصيغة خاصة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ١- ٢] إذ وقعت ليلة القدر غير منكرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ ﴾ نلحظ أنَّ قوله تعالى: (وَلَيَالٍ عَشۡرٍ) جاء نكرة من بين ما أقسم به ليدلَّ على أنَّها ليالٍ مخصوصة بفضائل لا تحصل في غيرها، وذلك أنَّ ضوء الهلال قد يظهر حتى يغلب الظلمة في أوَّل ليلة من الشهر، وقد يكون ضئيلاً يغيب ضوؤه في الشفق فلا يُعدُّ شيئاً، فالليالي العشر تبتدئ تارة من أوَّل ليلة وأخرى من الليلة الثانية لذلك نكَّرها على أنَّها ليالٍ عشر من كُلِّ شهر على خلاف تعريفه لفظ الفجر؛ لأنَّه معلومٌ وقته[٨١].

قال الزمخشري: ((أراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة. فإنْ قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنّها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإنْ قلت: فهلا عرّفت بلام العهد ؛ لأنّها ليال معلومة معهودة؟ قلت: لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير؛ ولأن الأحسن أنْ تكون اللامات متجانسة، ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية))[٨٢]. فالتنكير في (ليال) دالٌ على الفضيلة العظيمة.

الهوامش:

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة عرف، ٥/ ٦٣٦ - ٦٣٧، والقاموس المحيط: الفيروزآبادي، مادة عرف، ٣/ ١٧٨ – ١٧٩.

(٢) في جمالية الكلمة : حسين جمعة ، ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه : ١٥٩.

(٤) البرهان الكاشف لإعجاز القرآن: ابن الزملكاني، ١٣٣ – ١٣٦.

(٥) في جمالية الكلمة : ١٦٠.

(٦) البرهان الكاشف لإعجاز القرآن: ابن الزملكاني ، ١٣٦.

(٧) ينظر: دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ١٣٢ ، ومفتاح العلوم: السكاكي، ٨٥، والطراز: للعلوي، ٢٠٨.

(٨) البيان في روائع القرآن: ١ / ٣٣.

(٩) البلاغة والأسلوبية : محمد عبدالمطلب ، ٢٦٠.

(١٠) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل ، الغرناطي ١/ ٧١ – ٧٣

(١١) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٢/ ١٣٤

(١٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، ١/ ٨٩

(١٣) المحرر الوجيز: ١/ ٤٨٤

(١٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى (تفسير أبي السعود): أبو السعود، ١ / ٤٣٨.

(١٥) المصدر نفسه : ١ / ٤٣٨

(١٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/ ٢٩٦

(١٧) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا الأنصاري، ٢٦ – ٢٧، وينظر: البرهان في متشابه القرآن ، للكرماني، ١١٢.

(١٨) البرهان في متشابه القرآن : ١١٢.

(١٩) ينظر: البحر المحيط ، ١ / ٣٣٩.
(٢٠) التعبير القرآني : فاضل السامرائي، ١٧١.
(٢١) ينظر: الكشاف ، ٢/ ٤٤٨، وروح المعاني: ٢١/ ١٩.
(٢٢) إرشاد العقل السليم: ١ / ١٣٢ .
(٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، ١ / ٤٢٨ .
(٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة : للقزويني، ٦٤.
(٢٥) دلائل الإعجاز: ٢٩٣ .
(٢٦) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ١٧٧ .
(٢٧) روح المعاني : ١ / ٤٤٧.
(٢٨) البحر المحيط : ١ / ٤٨١.
(٢٩) التفسير الكبير : ٣ / ١٧٦.
(٣٠) بينات المعجزة الخالدة : حسن ضياء الدين عتر ، ٢٥٣.
(٣١) البرهان الكاشف لإعجاز القرآن : ٥٢.
(٣٢) المصدر نفسه : ٥٢.
(٣٣) التبيان في إعراب القرآن : العكبري ، ٢ / ٤٢.
(٣٤) المصدر نفسه : ١ / ١٠١.
(٣٥) التفسير الكبير : ٤ / ٥٠ – ٥١، وينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الاسكافي ، ٢٣ – ٢٤.
(٣٦) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : ٣١.
(٣٧) كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة ، ١٠٥ – ١٠٦.
(٣٨) تفسير القرآن العظيم: ١ / ٢٠٨.
(٣٩) البحر المحيط : ١ / ٥٥٤.
(٤٠) المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم: عبدالمجيد ياسين عبدالمجيد، ٤٠١.
(٤١) ينظر: الكتاب ، لسيبويه، ٣ / ٣٨٢.
(٤٢) ينظر: الخصائص، ابن جني، ٣٦٢/٢.
(٤٣) التمييز في كتاب الله العزيز–دراسة نحوية دلالية–: د. حازم ذنون إسماعيل، ٥٩.
(٤٤) الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، ٩٨ – ٩٩.
(٤٥) المصدر نفسه : ٢٣١، وينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن شرشر، ٨٨.
(٤٦) لسان العرب: مادة (قوي)، ٢٠٦/١٥ – ٢٠٧.
(٤٧) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ٣٨٢/٩.
(٤٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ٧٩٨.
(٤٩) ينظر: الكافية في النحو، لابن الحاجب، شرحه: رضي الدين الاستراباذي، ٤٤٧/٣ .
(٥٠) المغني في تصريف الأفعال: د. محمد عبد الخالق عضيمة، ١٥١
(٥١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد المسمى (التحرير والتنوير): ابن عاشور، ١٠٥/٢٠ ، ١٠٦.
(٥٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩٨ – ١٩٩.
(٥٣) فتح البيان في مقاصد القران: للقنوجي، ٢٠١/٥.
(٥٤) في جمالية الكلمة: ٦٩.
(٥٥) سنن البيهقي الكبرى: البيهقي ، ١٠ / ١٣.
(٥٦) صحيح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: السيوطي، ٣١٦٧.
(٥٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٧٦/١.
(٥٨) التفسير الكبير: ١٨٥/١٥.
(٥٩) ينظر: فتح البيان في مقاصد القران، ٥ /٢٠٢.
(٦٠) المحرر الوجيز: ٦ /٣٥٦.
(٦١) الكشاف: ٢٣٢/٢.
(٦٢) المحرر الوجيز: ٣٥٩/٦
(٦٣) البحر المحيط: ٥١٢/٤.
(٦٤) المحرر الوجيز: ٣٥٩/٦
(٦٥) فتح البيان في مقاصد القران: ٢٠٢/٥.
(٦٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ /٣١٤.
(٦٧) المصدر نفسه ٨ /٣١٤.
(٦٨) المحرر الوجيز: ٦ /٦٣٠.
(٦٩) نظم الدرر : ٨ /٣١٤.
(٧٠) صاقبة صقابا ومصاقبة: قاربه وواجهه، يقال: جار مصاقب.
(٧١) المحرر الوجيز: ٦ /٦٣١.
(٧٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن : ٢١.
(٧٣) البحر المحيط : ١/ ٢٤٩.
(٧٤) نظم الدرر : ١ / ١٨٥.
(٧٥) معارج التفكر: ١/ ١٥٨.
(٧٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢/ ٦٢١ – ٦٢٢.
(٧٧) فتح القدير: ٣ / ٢٨٦.
(٧٨) ينظر: معاني القرآن ، ٣/ ١٨٤.
(٧٩) التفسير الكبير: ٢٠ / ١١٧.
(٨٠) إرشاد العقل السليم: ٤ / ١٠٩.
(٨١) ينظر: التفسير الكبير، ٣١ / ١٤٨، والتحرير والتنوير: ١٤ / ١٠.
(٨٢) الكشاف: ٤ / ٧٣٤.

المصادر والمراجع

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى (تفسير أبي السعود) : أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٨٩٩هـ)، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي ، مؤسسات عبد الكريم عبد الله ، تونس، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الخطيب القزويني، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، أعادت طبعه بالأوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت).

البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الشهير بأبي حيان الأندلسي **(ت ٧٥٤ هـ)** ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ: علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: د زكريا عبد المجيد النوتي ود. أحمد الجمل ، قرظه: أ.د عبد الحي الفرماوي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

البرهان في متشابه القرآن : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، تقديم ومراجعة: أحمد عزالدين عبدالله خلف الله ، ط٢، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

البرهان الكاشف لإعجاز القرآن: كمال الدين بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ، ود. احمد مطلوب ، ط١، مطبعة العاني — بغداد، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

البلاغة العربية في المعاني والبيان والبديع : أحمد مطلوب ، ط١ ، ١٤٠٠ = ١٩٨٠ .

البلاغة والأسلوبية: محمد عبدالمطلب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م.

البناء الصوتي في البيان القرآني: محمد حسن شرشر، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.

البيان في روائع القرآن: تمام حسان ، ط٢، عالم الكتب ، القاهرة، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

بينات المعجزة الخالدة : حسن ضياء الدين عتر ، ط١، دار النصر ، حلب ، (د. ت) .

التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٩هـ = ١٩٩٨م.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد ، المسمى اختصاراً (التحرير والتنوير): محمد الطاهر بن عاشور**(ت١٩٧٣م)** ، ط١، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

التعبير القرآني : فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد — بيت الحكمة ، ١٩٨٩م.

تفسير القرآن العظيم: المعروف بتفسير ابن كثير : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) صُحح بإشراف : الشيخ خليل الميس ، ط٢، دار القلم، بيروت ، لبنان ، (د. ت) .

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي **(ت ٦٠٤ هـ)** ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

التمييز في كتاب الله العزيز –دراسة نحوية دلالية–: د. حازم ذنون إسماعيل، ط١ ، شركة القدس، القاهرة، ٢٠٠٩م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف (تفسير الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق: محمود شاكر ، ط١، دار إحياء التراث، بيروت — لبنان ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د. ت).

دراسات قرآنية – في جزء عمّ –: محمود أحمد نحلة، ط١، دار العلوم العربية، بيروت– لبنان، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: أبو عبدالله محمد بن عبدالله للخطيب الاسكافي ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت — لبنان ، ٢٠٠٢.

دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ).شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١، دار الجيل ، بيروت — لبنان ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي **(ت١٢٧٠هـ)** ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الباز ، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

صحيح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت ٩١١هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ١٩٨١.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

فتح البيان في مقاصد القرآن : ابو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي النجابي (ت ١٣٠٧ م) عني بطبعه وقدم له وراجعه : عبد الله بن ابراهيم الانصاري ، ادارة احياء التراث الاسلامي ، قطر ، ١٤١٠ = ١٩٨٩ م .

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن : أبو يحيى زكريا الأنصاري ، حققه وعلق عليه: الشيخ محمد علي الصابوني ، ط١، دار الجيل ، بيروت — لبنان ، (د.ت).

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط٢، دار ابن كثير، دمشق– بيروت ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

في جمالية الكلمة – دراسة بلاغية نقدية : حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٢م.

القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، (د. ت) .

الكافية في النحو: جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ)، شرحه : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت ٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، (د. ت) .

الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة ، ط١ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٩٠.

لسان العرب: الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم: عبدالمجيد ياسين عبدالمجيد، ط١، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، وعبد العال سيد إبراهيم ، ومحمد الشافعي العتابي ، ط١، الدوحة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م.

مسند الإمام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر العاشور، دار المعارف ، مصر، ١٩٥٨م.

معارج التفكر ودقائق التدبر : عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، ط١، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

معاني القرآن : يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار ، ط ١، دار إحياء التراث ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

المغني في تصريف الأفعال: د. محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هاشم الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ومراجعة: سعيد الأفغاني، ط٦، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م .

مفتاح العلوم : أبو يعقوب بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) ط١، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٠٦هـ = ١٩٣٧م.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان، ١٩٨٥.

من بلاغة النظم العربي– دراسة تحليلية لمسائل علم البيان–: عبد العزيز عرفة ، ط٢، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م.

نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوّض ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، ط١، مكتبة ابن تيميّة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

نهاية الايجاز في دراية الاعجاز : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) ، تحقيق وتقديم : إبراهيم السامرائي ، ومحمد بركات حمدي ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٥ م.

The intended Meanings of Definiteness and indefiniteness For the expressions in Holy Quran

Abstract

The research aims at explaining the signification of definiteness and indefiniteness in the Holy Quran and disclosing the colorfulness of style between the two terms. It also endeavors to study them, and explain their conceptual meanings, their coinage, and the difference of their contexts in The Holy Quran. The word occurs without a definite article in a certain position and with it in another position according to its context.

Definiteness and indefiniteness are considered stylistic aspects that give flexibility to the coinage and trackmen of the vocabulary in the sentence.